Geography of Magreb Countries (Tunisia, Algeria, Morocco)
in the seventh century Hegry (13 century A.D.)
Between Abn Said and Demashki
Study in Historical Geography

The Arab succeeded in the middle ages in describing the geogra phical features in many places of the known world in that time.

The seventh century hegry (13—th Century A.D.) is considered as one of the freshest period in the Arab geograpical thought. In this century there was many famous Arab geographers such as Abu El Hassan Ali Ibn Said El Maghraby and Shams El Din El Demashki.

In this research appears clearly the great effort and success that the two scientists achieved especially in the description of the coasts of Maghreb countries and its towns.

Ibn Said succeeded in pointing out locations of Morocco towns like Sala, Tanga (Tangier) and Sabta (Ceuta). Also he was interested in describing the Geographical site of some towns like Mazagan that lies on the coast of the Atlantic ocean.

But we found that Ibn Said and Dimashki gave little care to town planning.

The most important physical aspects that were described by the two scientists in this area were Tarek mountain (Gibraltar), Ghemara mountain, W. Moulouya, W. Oum Rbia, W. Sala (vallies.)

They told us about coastal towns and harbours of Algeria, Oran, Algeria, Bougie, Tenes, Also Soummam and Great Cheliff vallies.

The important coastal towns of Tunisia were Bone, Banzerte, Tunis, Sousse, Mahdia and Sfax.

Ibn Said and Demashki described also some of the internal towns of Maghreb countries such as fas and Meknes in Morocco and Kairouan, Gabes, in Tunisia.

Ibn Said had achieved more success in his studies than El Demaski, but we can say that the two scientests completed each other in the study of the geographical features of this region to give us at last a clear picture picture of the geography of the Maghreb countries in the Middle ages.

جغرافية بلاد المغرب فى القرن السابع الهجرى

(ق ١٣ م)

بين إبن سعيد والدمشقى

دراسة فى الجغرافيا التاريخية لتقييم الفكر الجغرافى فى ق ٧ هـ

الدكتوره هيام عبد الرحمن سليم

قبل أن نبدأ فى تقييم الفكر الجغرافى العربى فى ق ٧ هـ — ق ١٣ م ممثلا فى كتابات إبن سعيد المغربى والدمشقى عن بلاد المغرب (١) نذكر نبذه عن حياة وأعمال كل من إبن سعيد والدمشقى وعن محتوى كتابى الجغرافيا لإبن سعيد ونخبه الدهر للدمشقى والتى اعتمدنا عليها فى بحثنا هذا .

ولد أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربى : فى الثانى والعشرين من رمضان سنة ٦١٠ هـ (فبراير سنة ١٢١٤ م (فى قلعة يحصب من أعمال غرناطه بالأندلس وهو من سلالة الأمراء المغاربه الذين حكموا هذه القلعة فترة من الزمن حيث كانت تحمل إسم قلعة بنى سعيد .

وقد نشأ أبو الحسن فى أجواء إمتزج فيها نفوذ السلطان بجلال العلم فقد كان والده موسى عالمـاً لذلك حرص على أن ينشأ إبنه نشأة علميه وأدبيه وسياسية فى نفس الوقت ولذلك أرسله إلىأشبيليه حيث أمضى فترة من حياته تلقى فيها العلم ، ولما عاد إلى مسقط رأسه ضم جهوده إلى جهود والده واشترك الإثنان فى وضع كتاب « المغرب فى حلى المغرب » وقد زار إبن سعيد مصر برفقة والده سنة ٦٣٨ هـ (٢١٢٤ م) أما عن مؤلفات

---

(١) كان يعنى اصطلاح بلاد المغرب فى العصور الوسطى المنطقة من شمال افريقيا الممتده من المحيط الأطلسى غرباً أو حدود المملكة المغربية الحالية حتى شرق طرابلس شرقاً وتضم الوحدات الآتية : المغرب الأقصى (مراكش) — المغرب الأوسط (الجزائر) — سلطنة افريقياً (تونس وجزء من ليبيا الحالية حتى شرق طرابلس) .

إبن سعيد ، فقد ذكر المقرى أن إبن سعيد قد كتب أربعمائة مؤلفا ولـكن لسوء الحظ قد فقد معظمها ولم يبق منها سوى عدد محدوداً أهمه كتابان « المغرب فى حلى المغرب » وكتاب « الجغرافيا » الذى نحن بصدد تقييم جزء منه وهو الخاص بجغرافية بلاد المغرب . وكتاب « الجغرافيا » لإبن سعيد نقل عنه كل من العلامة أبو الفدا فى كتابة « تقويم البلدان » والقلقشندى فى كتابة » صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ولـكتاب « الجغرافيا » عدة مخطوطات إحداها فى المـكتبة القومية بباريس تحت رقم ٢٢٣٤ وهى النسخة التى اعتمد عليها إسماعيل العربى الذى قام بتحقيق كتاب جغرافيا الذى اعتمدنا عليه فى بحثنا .

ومن الملاحظ أن المحقق ذكر فى مقدمة الـكتاب أن المخطوط السابق الذكر الذى اعتمد عليه لا يوجد به خريطة كما أنه لا يوجد فى النص ما يشير إلى خريطة ما . ويبدو أن المحقق لم يفطن إلى ما جاء فى نص المخطوطه التى أوردها فى كتابه ، فقد أشار إبن سعيد مراراً فى النص إلى وجود خريطة فعلى سبيل المثال ذكر ص ١٤١ من الـكتاب الذى بين أيدينا :

« ومن الجبال التى فى شمالى فاس ينزل نهر يسر وكلها تنصب فى البحر المحيط على مارسم » كما ذكر فى ص ١٦٦ » الجزء الأول من الأقليم الخامس أول ما يلقاك منه فى البحر ثلاث جزائر من جزائر السعادات كما سمت » من هذا يتضح لنا أن المخطوط كان ملحق به خريطة كبيرة أو عدد من الخرائط لـكل جزء من أجزاء الأقاليم التسعة التى أوردها فى كتابه ، ولـكن للأسف هذه الخرائط قد فقدت ولم تصل إلينا . وفى تصورى أن خرائط إبن سعيد هذه كانت تشبه خرائط الأدريسى التى ضمها كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ذلك الـكتاب الجغرافى الذى ذاع صيته فى العالم الإسلامى منذ وضعه مؤلفه فى القرن الخامس الهجرى أو الحادى عشر الميلادى أى قبل كتاب إبن سعيد بحوالى قرنين من الزمان .

وقد سار إبن سعيد فى نهج كتابه على النظام الذى وضعه الجغرافى اليونانى بطليموس ٢ ق . م والذى أخذ أساسه من الجغرافى هيباركوس

سنة ١٢٥ ق . م وهو نظام الأقاليم السبعة وهى أقاليم تسير موازيه لخطوط العرض ويبدأ أو لها من خط الإستواء وتنتهى شمالا بالأقاليم السابع الذى كان يمثل أقصى الأقاليم المعروفة تجاه القطب الشمالى . ويلاحظ أن بعض الجغرافيين العرب قد تأثروا بهذا المنهج فى الدراسة الجغرافية من أشهرهم الأدريسى ثم إبن سعيد غير أن إبن سعيد قد أضاف أقليمين جديدين إلى الأقاليم السبعة المعروفة أحدهما يضم المناطق الواقعة جنوب خط الإستواء سماه المعمور خلف خط الإستواء ويصل إلى خط عرضى ١٦ جنوباً ، والآخر فى أقصى الشمال سماه المعمور فى شمال الأقاليم السبعة أو خلف الأقاليم . وكان يمتد شمالا حتى خط عرضى ٦٤ (١) .

كذلك سار إبن سعيد على نهج بطليموس ومن تأثر به من الجغرافيين العرب ، فبدأ أطواله من « جزائر الخالدات » أو جزر كنارى الواقعة إلى الغرب من جرينتش بحوالى ١٥ طوليه وقد راعينا هذا عند تقييم مجهوداته الخاصة بتحديد خط طول الأماكن المختلفة .

هذا وقد اعتمد إبن سعيد فى بعض معلوماته على مرجع لم يصل إلينا هو « جغرافيه إبن فاطمه » الذى يبدو أنه كان رحاله أو ملاحاً جاب البحار ، والواقع أن إبن سعيد كان أميناً حين اعترف مراراً بنقله العديد من المعلومات عن هذا المصدر ، ونلاحظ أن صفة الأمانة العلمية قد إتسم بها معظم العلماء العرب والمسلمين فى العصور الوسطى .

أما الدمشقى فقد ولد سنة ٦٥٤ هـ — سنة ١٢٥٦ م أى بعد إبن سعيد بأربعة وأربعين عاماً وتوفى سنة ٧٢٧ هـ أى عاش قرابة ٧٣ عاماً أمضى معظمها فى مسقط رأسه مدينة دمشق إماماً بمسجد الربوه ولقب بالصوفى لميوله الصوفيه . وقد خلف الدمشقى وراءه عدداً كبيراً من المؤلفات أكثرها شهره وأهميه بالنسبة للجغرافيين كتابه « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر»

---

(١) يلاحظ أن بطليموس ومن سار على نهجة قد تحدثوا عن بعض المواضع التى أوردها إبن سعيد فى هذا الأقليم الجنوبى مثل جبل القمر الذى يتبع منه نهر النيل وأدخلاها ضمن الأقليم الأول .

وطريقته فى تصنيف الكتاب تختلف عن طريقة إبن سعيد فهو لم يسير على نظام الأقاليم السبعة الحرارية العرضيه ، وإنما قسم كتابة إلى فصول كل فصل يعالج دراسة موضوع معين ، فمثلا الفصل الأول يشغل المقدمة التقليدية فى شكل الأرض ووصفاً لأقاليم السبعة وفصول السنة ، أما الفصل الثانى فيبحث فى المعادن والجواهر ، بينما يصف الثالث الأنهار والعيون والآبار والخامس يتحدث عن جغرافيا حوض البحر المتوسط وهكذا .

ويشير الدمشقى فى مقدمة كتابه أنه أرفق به خريطة ملونة العالم إلا أنها للأسف فقدت مثل خرائط إبن سعيد ، بإستثناء خرائط صغيرة مبسطة وجدت داخل االمتن .

وقد اخترت أن أتناول بالتقييم المعلومات الجغرافية التى تناولها كل من إبن سعيد والدمشقى معاً عن بلاد المغرب لسببين .

١ ــ أن العالمين قد عاشا فى فترة زمنية متقاربه فى القرن السابع الهجرى (ق ١٣ م) وبذلك فهما يعبران عما وصل إليه الفكر الجغرافى العربى عن هذه المنطقة خلال تلك الفترة .

٢ ــ سنلاحظ من العرض التالى أن معلومات الدمشقى تكمل أحياناً بعض أوجه النقص فى معلومات إبن سعيد خاصة فيما يتعلق بتاريخ تأسيس بعض المدن بالرغم من أن معلومات إبن سعيد عن بلاد المغرب أغنى وأكثر تنوعاً ودقة من معلومات الدمشقى ، وهذا طبيعى فقد نشأ إبن سعيد كما رأينا فى بلاد الأندلس وقام بأسفار متعدده إلى بلاد المغرب موطن آبائه وأجداده مما أكسبه خبرة واسعة عن تلك المنطقة تفوق بكثير خبرة الدمشقى الذى عاش معظم حياته فى مسقط رأسه ببلاد الشام .

تنتمى كتابات ابن سعيد والدمشقى رغم اختلافها فى منهج الدراسة إلى نمط من أنماط الجغرافيا التى سادت فى العصور الوسطى الإسلامية وهو نمط « الجغرافيا الوصفية » ويمكن أن نشبهها بنمط الدراسة الإقليمية الحالية فى الجغرافيا ، إذ أنها دراسة شاملة تهتم بالمظاهر الطبيعية والبشرية للإقليم على

حد سواء ، ونلاحظ هذا بوضوح من دراسة ابن سعيد لبلاد المغرب وهى تعطينا صورة لنمط الدراسة الجغرافية لابن سعيد التى حواها كتابه جغرافيا . فبالنسبة لدراسة المدن نجد أنه اهتم بتحديد موقع المدينة ووصف موضعها الجغرافى كما أنه أورد عن كل مدينة ما استطاع الحصول عليه من معلومات عن سكانها أو تخطيطها أو وظيفتها أو مواردها الاقتصادية .

أما الدمشقى فقد لاحظنا أنه أهمل تحديد مواقع المدن المختلفة ولكنه اهتم بتاريخ تأسيس بعض المدن إلى جانب ما أمكنه التوصل إليه من معلومات مختلفة عن المدن أو الساحل بوجه عام سواء أكانت هذه المعلومات إضافة لما سبق أن ذكره ابن سعيد أو تكرار لمعلومة أشار إليها ابن سعيد مما يؤكد صحتها وأهميتها فى نفس الوقت .

وكان تحديد مواقع المدن المختلفة هو أول ما اجتهد ابن سعيد فى دراسته وقد بذل فى سبيل ذلك جهداً يشكر عليه ، ذلك أنه نجح فى تحديد مواقع الكثير من المدن خاصة من ناحية خط العرض ، وهنا نلاحظ أن ابن سعيد بدأ أطواله كما سبق أن ذكرنا على مذهب بطليموس من جزر الخالدات (جزر كنارى) الواقعة غرب جريندج بحوالى ١٥ * طولية .

فإذا بدأنا بسواحل **بلاد المغرب الأقصى أو مراكش** (أنظر الخريطة رقم ١) نجد أن ابن سعيد نجح فى تحديد موقع مدينة « سلا » المغربية الواقعة على ساحل المحيط الأطلسى بفارق درجة واحدة بالنسبة لخط العرض وكذلك مدينتى « طنجه وسبته » بفارق عدة دقائق فقط .

وإلى جانب الموقع اهتم ابن سعيد بوصف الموضع الجغرافى للمدن ، فذكر أن مدينة « **مازاغان** » الواقعة على ساحل المحيط الأطلسى تقع على طرف يمتد داخل البحر إثنا عشر ميلا ، ولما كانت مازاغان الحالية « الجديدة » تقع

---

(١) يلاحظ أن أبن سعيد قد جمع بين منهج دراسة البلدان وبين الجغرافيا الرياضية .

(٢) ذكر الأدريسى أن مدينة سلا الحديثة تقع على ضفة البحر وهذا يبين أن هذه المدينة قد تأسست قرابة القرن الخامس الهجرى (ق ١١ م) وقد اضاف أن هناك حركة تجارية مستمرة بين هذه المدينة ومدن ساحل الأندلس خاصة اشبيلية .

إلى الداخل بعض الشئ فإن ذلك يدل على أنها قد نشأت نشأة جديدة كما يبدو من إسمها وإن كانت تأخذ أيضاً نفس اسم المدينة القديمة التى ذكرها ابن سعيد وتقع بالقرب منها .

أما مدينة « أزمور » Azemmour فقد ذكر أنها تقع جنوب نهر أم ربيع ، وهى فى الواقع تقع على الضفة الغربية للنهر بالقرب من المصب . كذلك أورد ابن سعيد معلومات عن سكان هذه المدينة فذكر أن أكثرهم من قبيلة صنهاجه . وإلى جانب الاهتمام بتحديد مواقع المدن ووصف موضعها الجغرافى

أورد ابن سعيد معلومات متناثرة عن كل مدينة وفقاً لما استطاع جمعه وبعض هذه المعلومات خاص بسكان هذه المدن كما أوردنا أو بوظيفة المدينة خاصة بالنسبة للمدن التى تلعب الوظيفة دوراً هاماً فى نشأتها ونموها كالموانى مثل ميناء مازاغان Mazagan الواقع على ساحل المحيط الأطلسى فقد وصفه ابن سعيد بأنه « فرضة مشهورة تحمل منها المراكب القمح إلى سبته وغيرها » .

أما ميناء سبته فيبدو من وصف ابن سعيد والدمشقى له أنه كان أكثر أهمية من طنجه ، فقد ذكر ابن سعيد أنه ميناء عظيم حيث اكتسب أهميته من موقعه على مدخل البحر المتوسط وبالقرب من المحيط والساحل الأوروبى ، وقد شبهه بميناء الاسكندرية من ناحية حركة السفن الآتية إليه والخارجة منه وكثرة تردد التجار عليه « حيث كان بعضهم يبتاع السفينة بما عليها من السلع الواردة من الهند وغيرها » ويبدو أن هذه السلع الهندية كانت تأتى فى الغالب عن طريق مصر . وقد أشار الدمشقى هو الآخر إلى كثرة تردد التجار على هذا الميناء مما يدل على أنها كانت ظاهرة لفتت أنظار العلماء الذين زاروا سبته ، وقد تعجب الدمشقى من ظاهرة سببها معروف وبديهى وهى أن الميناء رغم أنه يقع على البحر إلا أن الماء ينقل إلى حماماته على الظهر وطبيعى أن سبب ذلك أن المياه المستخدمة فى الحمامات مياه غذبه كانت تحمل من الأودية والآبار .

أما مدينة طنجه : فقد اكتفى ابن سعيد بتحديد موقعها ، وقد سبق أن ذكرنا أن ابن سعيد قد وفق فى تحديد موقع مدينتى سبته وطنجه بفارق عدة دقائق فقط .

أما الدمشقى فقد ذكر أن مدينة طنجه أسسها الرومان وأن المناطق التابعة لها إدارياً كانت تمتد مسيرة شهر فى شهر ، ونستنتج من ذلك أن هذه المدينة كان لها أهمية كعاصمة لإقليم كبير المساحة .

أما من ناحية تخطيط المدن فقلما اهتم ابن سعيد أو الدمشقى بهذه الظاهرة ، فمثلا ذكر ابن سعيد أن مدينة رباط الفتح (الرباط) تشبه فى تخطيطها مدينة الاسكندرية غير أنه لم يذكر نمط هذا التخطيط ، هذا ومن المعروف أن تخطيط مدينة الاسكندرية التى بناها الاسكندر الأكبر هو التخطيط الشطرنجى

وبذلك فإننا نستنتج مما ذكره ابن سعيد أن مدينة الرباط كانت هى الأخرى شطرنجية التخطيط .

أما أهم الظواهر الطبيعية فى هذه المنطقة التى لفتت نظر العلامة ابن سعيد فهى منطقة مضيق جبل طارق .

يبدأ مدخل البحر المتوسط كما وصفه ابن سعيد برأسين أحدهما على الساحل المغربى أو الإفريقى وهو طرف اسبرتال Espartel الذى يعرف بهذا الإسم إلى الآن ، أما الرأس الآخر فهو على الساحل الإسبانى وكان ولا يزال يعرف باسم الطرف الأغر . وقد ذكر كل من ابن سعيد والدمشقى أن الملاحة فى هذه المنطقة صعبة حيث تعلو الأمواج وتتخبط على هذه الرؤوس وبعد هذه المنطقة يضيق بحر الزقاق حتى يصل عرضه إلى ثمانية عشر ميلا فى منطقة جبل طارق ويلاحظ أن ابن سعيد وكذلك الدمشقى قد ذكرا المضيق باسم « الزقاق » ولم يذكر اسم « مضيق جبل طارق » مما يدل عهلى أن نسبة هذا المضيق أو الزقاق إلى طارق ابن زياد لم تكن شائعة فى ذلك الوقت فى حين أن اسم طارق بن زياد كان يطلق على الجبل كما سنذكر فيما بعد .

ومن أهم مظاهر السطح التى أشار إليها ابن سعيد فى هذه المنطقة جبل طارق الذى يبرز فى البحر عند مدينة سبته ، وقد وصفه بأنه جبل عال يمتد داخل البخر وعنده ميناء مشهور يعرف بالخضراء — ولا جود له على الخريطة الحالية — وقد أضاف أن المنطقة المحصورة بين هذا الميناء وميناء سبته محمية من العواصف والأمواج وصالحة لرسو السفن وهذا طبيعى حيث أن هذه المنطقة يحميها جبل طارق من الرياح والأمواج .

أما جبل غمارة : فيقع إلى الشرق من سبته وقد وصفه ابن سعيد بأنه جبل مرتفع تنمو فوقه أشجار الأرز التى تستخدم أخشابها فى صناعة السفن ويعد جبل غماره هذا مقدمة لجبال أطلس الريف ويمتد جنوب شرق سبته موازياً لساحل البحر المتوسط تاركاً بينه وبين الساحل سهولا ضيقة .

ومن أهم أنهار بلاد المغرب الأقصى التى ذكرها ابن سعيد « نهر ملويه Moulaya » وقد ذكر أنه نهر كبير شهير ويعتبر نهر ملويه هذا من أكبر

وأطول أنهار بلاد المغرب كما ذكر ابن سعيد وهو ينبع من سلسلة جبال أطلس الكبرى ويصب فى البحر المتوسط ، ونلاحظ أن ابن سعيد قد أخطأ حين اعتقد أن نهر « زيز » من روافد نهر ملويه ، ذلك أنه بالرغم من أن نهر زيز ينبع هو الآخر من سلسلة جبال أطلس بالقرب من منابع نهو ملويه إلا أنه لا يتصل به بل يتجه جنوباً صوب الصحراء .

ومن الأنهار التى تصب فى المحيط والتى ذكرها ابن سعيد نهر « **أم ربيع** » وهو يصب شمال مدينة مازاغان وتقع عليه مدينة أزمور على نحو ميلين من المصب كما أشار ابن سعيد وقد أضاف أن مجراه متوسط الاتساع بحيث يسمح بمرور السفن المتوسطة الحجم .

أما « **نهر سلا** » فقد ذكر أنه صعب الملاحة لا تهتدى إلى مسالكه غير قوم يعرفون « بوقاصه » نسبة إلى سعد بن أبى وقاص . والواقع أن صعوبة الملاحة فى هذا النهر إنما ترجع إلى قصره وانحداره السريع من المرتفعات نحو السهل الساحلى .

وإذا تركنا الساحل واتجهنا إلى **داخل المغرب الأقصى** أو مراكش نجد أن ابن سعيد لم يصف لنا سوى مدينتين فقط كانا أهم مدن الداخل فى هذه الفترة وهما مدينتى « **فاس ومكناس** » المتجاورتين وقد حدد ابن سعيد موقع مدينة فاس على خط طول ٦٠ و ١٠ * وخط عرض ٣٣ * ، وهكذا فقد أصاب ابن سعيد فى تحديد خط طول المدينة حيث تقع على خط طول ٥ * غرباً أما من ناحية خط العرض فقد وضعها إلى الجنوب من موقعها الحقيقى بحوالى درجة عرضية واحدة فقط ، كذلك اهتم ابن سعيد بوصف هذه المدينة فذكر أنها كثيرة العيون يسقيها نهر يأتى من المرج الواقع شرقها ويصب هذا النهر فى نهر « سبو » الذى يمر شمال المدينة ، وإذا نظرنا إلى الخريطة نلاحظ أن هذا النهر الذى يسقى مدينة فاس هو وادى صغير إذ قيس بوادى سبو . وقد أضاف ابن سعيد أنه إلى الجنوب الشرقى من فاس يوجد « جبل مديون » وفيه تعمل البرانس المديونية التى لا ينفذ منها ماء المطر . ويتصل هذا الجبل بجبل درن — ويقصد به سلسلة أطلس الكبرى كما يتصل به من الشمال

بنزرت
طبرقه
بونه
الجزائر
بجايه
تونس
وهران
شلف
ملك
قسطينه
سوسه
المهديه
القيروان
صفاقس
قابس
طرابلس
اهم الظاهرات التى ذكرها ابن سعيد والدمشقى
فى افريقيا (تونس) والمغرب الاوسط (الجزائر)
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ كم

جبل غاره الموازى لساحل البحر وقد أشار ابن سعيد فى هذا الموضع أنه رسم خريطة وضع عليها ما ذكره من ظاهرات ولكنها فقدت للأسف كما سبق أن ذكرنا فى مقدمة هذا البحث .

أما مدينة « مكناس » فقد ذكر ابن سعيد أنها مدينة شهيرة تقع شمال فاس تنتشر بها أشجار الزيتون ، أما عن موضعها فيمر جنوبها نهر « فلفل » الذى يصب فى نهر سبو وإذ نظرنا إلى الخريطة نلاحظ أن مدينة مكناس تقع إلى الجنوب الغربى من فاس وليس شمالها ، أما النهر الذى سماه « فلفل » والذى ذكر أنه يمر جنوب المدينة فهو رافد لوادى بيث Beth ويصب بمكناس كما قال ابن سعيد فى وأدى سبو . وهكذا نجد أن ابن سعيد قد اخطأ فى تحديد موقع هذه المدينة بالنسبة لمدينة فاس ولكنه أصاب فى وصف موضعها .

المغرب الأوسط (الجزائر) :—

أول الموانى التى ذكرها ابن سعيد على ساحل المغرب الأوسط « **ميناء وهران** » وقد أعتبره آخر فرض ساحل العدوه الذى يعبر منه إلى بلاد الاندلس وقد أضاف الدمشقى أن ميناء وهـــران بنيت سنة ٢٩هـ ثم هدمت ثم بنيت عدة مرات (١) .

وإلى الشرق من ميناء وهران تقع مدينة « تنس » ثم ميناء « الجزائر » ثم مدينة « بجايه » وهنا نلاحظ أن ابن سعيد قد وضع هذه المدن الثلاث إلى الجنوب من موقعها الحقيقى بحوالى من ٢,٣٠—٣ وإلى الشرق بحوالى درجتين . **ومدينة تنس** » من مدن الظهير الساحلى وقد ذكر ابن سعيد أنها تبعد عن الساحل بمسافة ميلين ، أما عن مواردها الإقتصادية فذكر أنها تشتهر بزراعة القمح ومنها يحمل فى المراكب إلى بلاد الأندلس وغيرها أما من ناحية وضعها السياسى فى ذلك الوقت فقد كانت قاعدة قبائل مغزاوه من زناته أما ميناء الجزائر فقد وصفه بأنه فرضه مشهوره من عمل بجايه

---

(١) ذكر أبن حوقل (ق ٤ هـ) أن ميناء وهران محمى من الرياح بواسطة الجبال التى تحط به وله مدخل آمن وسور لحمايته وهو فرضة الأندلس ترد إليه السلع ومنه يحملون الغلال .

وكانت مدينة بجايه أهم هذه المدن ذلك أنها كانت قاعدة المغرب الأوسط فى ذلك العهد وقد وصفها الدمشقى بانها مدينة حسنه البناء بنيت سنة ٤٥٧هـ فى حين وصف ابن سعيد موضعها الجغرافى فذكر أن لها نهر تمتد على شاطئه البساتين وتجرى به المراكب وهو ينبع من جهة شقرا بصحراء الجنوب ويصب فى البحر إلى الشرق من المدينة وقد وصف الدمشقى أيضاً هذا النهر الذى يقصد به وادى « سومام » Soumman الذى يصب فى البحر المتوسط شرق بجايه . كذلك أشار كل من ابن سعيد والدمشقى إلى جبال الرحمن أو الرحمه وحدد ابن سعيد موقعها على الساحل شرق بجايه بينما أضاف الدمشقى أن هذه الجبال تعمرها قبائل كتامه وان بها معادن النحاس اللازورد .

أما **المنطقة الداخلية** من أرض الجزائر أو المغرب الأوسط فكانت أهم مدنها فى ذلك الوقت مدينة « **تلمسان** » وقد نجح ابن سعيد فى تحديد خط طول هذه المدينة أما خط العرض الذى عينه فكان إلى الجنوب من الموقع الفعلى بحوالى درجة عرضية واحده . وقد أشار ابن سعيد إلى الموارد الاقتصادية لمدينة تلمسان فذكر أنها تصدر الثياب الصوفية الممتازة ولحم الخيل والسروج وغيرها من لوازم ركوب الخيل ، وقد شبهها بمدن الأندلس من ناحية كثرة مياهها وبساتينها وصناعاتها . ومن أهم **الظاهرات الطبيعية** التى لفتت نظر ابن سعيد فى هذه المنطقة نهر « **الشلف الكبير** » الذى ذكر انه يصب فى البحر عند مدينة « مستغانم » وقد شبهه بنهر النيل من ناحية أنه يزيد فى وقت نقص الأنهار وان لم يذكر السبب فى هذه الظاهره وهنا نلاحظ أن ابن سعيد قد نجح فى وصف هذا النهر فوادى شلف Chliff يصب فى البحر المتوسط شرق مستغانم ، أما ظاهرة زيادة مياه هذا النهر صيفاً مثل نهر النيل فان ذلك راجع إلى أن منابع هذا النهر تأتى من جبال أطلس التل كما تصل أحياناً جنوباً حتى أطلس الصحراء وبذلك فان ذوبان الثلوج المتكونه على هذه السلاسل العاليه فى الربيع والصيف يغذى هذا النهر بالمياه .

سلطنة أفريقيا (تونس) :

ذكر ابن سعيد أن مدينة « قسطتينه » هى آخر حدود سلطنة بجايه أو المغرب الأوسط (الجزائر) أما مدينة « بونه Boni » فهى أول حدود سلطنة أفريقيا على البحر وقد اخطأ ابن سعيد فى تحديد موقع هذه المدينة فوضعها إلى الشرق من موقعها الحقيقى بحوالى خمس درجات طوليه وإلى الجنوب بحوالى ثلاث درجات .

أما من حيث موضعها فقد ذكر أن لها نهر متوسط ينصب فى البحر إلى الغرب من المدينة وهو عبارة عن وأدى متوسط الطول يصب فى البحر المتوسط وقد أشار الدمشقى هو الآخر إلى هذا الوادى بينما أضاف أن مدينة بونه بنيت سنة ٤٥٠ هـ وانها تقع على سن الجبل ويلاحظ أن وصف الدمشقى هذا يعد وصفاً دقيقاً لموضع المدينة إذ أنها تقع على الطرف الشرقى لمنطقة جبليه يصل أرتفاعها إلى حوالى ٣٠٠٠ قدم .

مدينة طبرقه : — لم يهتم ابن سعيد بتعيين موقع هذه المدينه وإنما اكتفى بقوله أنها تقع شرق مدينة بونه ، وقد أضاف أن الخشب والقصب الفارسى الجيد يحمل منها إلى مدينة تونس .

مدينة بنزرت : — اخطأ ابن سعيد أيضاً فى تعيين موقعها كما حدث بالنسبة لمدينة بونه ، فوضعها إلى الشرق من موقعها الفعلى بست درجات طولية وإلى الجنوب بحوالى ٣,٣٠ . أما عن موضع هذه المدينة فقد أجمع هو والدمشقى أن لها نهراً عليه منار يصب شرقها ، وقد أضاف ابن سعيد أنه إلى الجنوب من مدينة بنزرت توجد بحيره عذبه وشرقها أخرى مالحه ، كما يقع إلى الشرق من المدينة على الساحل رأس الجبل وهو مرسى مأمون للسفن فى فصل الشتاء ، ويقصد به ابن سعيد الرأس الذى يقع شمال خليج تونس خاصة أنه ذكر أن نهر « مجرده » المشهور بافريقيا يصب فى البحر بين هذا الرأس ومدينة تونس وهكذا نجح ابن سعيد فى وصف موضع هذه المدينة .

مدينة تونس : ــ عين ابن سعيد موقعها على خط طول ٣٢ وخط عرض ٣٣,٣١ أى إلى الشرق من موقعها الحقيقى بحوالى ٧ وإلى الجنوب بحوالى ٣ عرضية .

أما من حيث موضع المدينة فقد ذكر أنها تقع على بحيرة مالحة تدخلها المراكب ويقصد بها خليج تونس ، وأضاف الدمشقى أن تونس تقع فى سفح الجبل . أما من ناحية وضعها السياسى فقد ذكر كل من ابن سعيد والدمشقى أنها كانت قاعدة افريقيا فى ذلك الوقت (ق٧هـ) ومعظم بلاد المغرب تابع لها (١) .

ومن المدن التى أشار إليها كل من ابن سعيد والدمشقى إلى الشرق من تونس .

مدينة سوسه : ــ وقد حدد ابن سعيد موقعها على خط طول ٣٤ ودقائق وعلى خط عرضى ٣٢,٤٠ . أى إلى الجنوب من موقعها الفعلى بحوالى ٣,٢٠ وإلى الشرق بحوالى تسع درجات طولية ، كذلك وضعها شرق مدينة تونس بـ ٢ طولية فى حين أنها تقع شرقها بحوالى ١٥ دقيقة فقط .

أما الدمشقى فقد وصف موضع المدينة بانه محاط بالبحر من ثلاث جهات وان مبانيها مبنية بالحجر . (٢) .

أما مدينة المهديه : ــ فقد ذكر الدمشقى أن المهدى بناها سنة ٣٠٦ هجرية وهى فى موضعها تشبه سوسه إذ يحيط بها البحر من ثلاث جهات لها بابان باب البحر وباب البر وهى تذكرنا هنا بمدينة الإسكندرية وأبوابها .

---

(١) اشار البكرى (ع٥ هـ = ع١١م) إلى منتجات تونس الزراعية والصناعية التى اهتم كل من ابن سعيد والدمشقى ذكرها ، فأخبرنا أنها تشتهر بزراعة الأنواع الممتازة من الفواكه والرمان والتين والسفرجل والعناب ، ويصنع بها آنية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض والرقة ليس لها نظير فى العالم .

(٢) اضاف اليعقوبى (ع٣هـ = ع٩م) أن بمدينة سوسة دار لصناعة السفن وأن اهلها اخلاط من الناس .

أما من ناحية الموقع فقد وضعها ابن سعيد على خط طول ٣٤,٤٠ أى إلى الجنوب من موقعها الحقيقى بـ ٣,٣٠ تقريباً وإلى الشرق بحوالى تسع درجات طولية وهنا نلاحظ أن ابن سعيد وان كان فد اخطأ فى تحديد خط طول المدينة إلا أنه نجح فى تحديد البعد بينها وبين مدينة سوسه فقد قدره بحوالى ٣٠ دقيقة شرقاً و ٤٠ دقيقة جنوباً وهذا يتفق مع الواقع . (٣)

مما سبق يتضح لنا أنه ابتداء من مدينة بونه وكانت أول حدود سلطنة أفريقيا كما ذكرنا أخطأ ابن سعيد فى تحديد مواقع المدن الساحلية (بونه ــ بنزرت ــ تونس ــ سوسه ــ المهديه) خاصة بالنسبة لخط الطول فقد وضعها جميعاً كما رأينا إلى الشرق من موضعها الطبيعى بما يتراوح بين ٥ : ٩ درجات، ويلاحظ أنه كلما اتجهنا شرقاً كلما زاد الفرق أو الخطأ بالنسبة لخط الطول ، فى حين أن خطأه كان أقل بالنسبة لخط العرض الذى لم يتجاوز ٣٠ و ٥ إلى الجنوب من الموقع الحقيقى لهذه المدن .

وقد ذكر ابن سعيد أنه إلى الجنوب الشرقى من مدينة المهديه توجد مدينتا **صفاقس « وقابس »** وهنا أخطأ ابن سعيد إلى حد ما فى تحديد موقع هاتين المدينتين بالنسبة للمهدية فالحقيقة أنهما يقعا إلى الجنوب الغربى منها وليس الجنوب الشرقى كما ذكر ، وقد وصف الدمشقى صفاقص بأنها مدينة مسورة فى وسط غابة من الزيتون .

أما مدينة قابس فقد ذكر ابن سعيد أنها فى أفريقيا كنزلة دمشق فى بلاد الشام ، وهذا يدل على أهمية هذه المدينة . أما عن موضعها فقد ذكر أنها تقع على بعد ثلاثة أميال من البحر وأن لها نهر تدخله المراكب المتوسطة وهو ينبع

---

(٣) ذكر الادريسى أن مدينة المهدية تشتهر بزراعة الزيتون الذى يستخرج منه الزيت الممتاز الذى يعم سائر بلاد افريقية (تونس) كما يصدر إلى سائر بلاد المشرق .

(١) ذكر أبن حوقل (ع٤هـ) أن سفاقس مدينة تقع على ساحل البحر فى منطقة ضحلة راكده المياه ولها سور من حجارة وابواب حديد منيعة واشهر منتجاتها الزيتون والزيت وقد اضاف البكرى أن زيت صفاقس يصدر إلى مصر والمغرب وصقلية وبلاد الروم وأن حركة تجارة بهذا الميناء نشيطة . أما المقدسى فقد شبهها بمدينة القسطنطينية زذكر أنها تعتمد فى شربها لى مياه الآبار .

من الجبل الواقع جنوب المدينة ثم يخترق غوطتها وينبوع جداولها عليه :
وإذا نظرنا إلى موضع قابس المدينة أو الأقليم المحيط بها والذى يتبعها إدارياً نجده منطقة منخفضة لا يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠ قدم باستثناء الجزء الجنوبى ومنطقة صغيرة فى الغرب حيث يصل الارتفاع إلى أكثر من ١٥٠٠ قدم ، غير أننا لا نجد هذا النهر الذى وصفه ابن سعيد وكذلك الدمشقى مبيناً على الخرائط لذلك فمن المحتمل أن يكون المقصود به ذلك الوادى الذى يصب جنوب المدينة .

أما عن موارد هذه المدينة فقد ذكر ابن سعيد أنها تمتاز بزراعة الموز والرطب وحب العزيز والحنا وأضاف الدمشقى أن أكثر شجرها الموز والفستق .

مدينة القيروان : ذكر ابن سعيد أنها كانت قاعدة أفريقية فى أول الإسلام .

أما فى عصره (ق ٧ هـ) فقد أصبحت تابعة لتونس . أما عن موضعها الجغرافى فقال أنها تقع فى منطقة جبلية عرفت بجبل وسلات ويتصل بهذا الجبل جبال يسكنها خماعات من البربر وهى منطقة صحراوية تصلح لرعى الإبل .

أما عن سكان تلك المنطقة فقد أضاف أن قبائل عوف وقبائل نغزوه وهواره من البربر تنزل شمال القيروان .

---

(٢) وصف البكرى مدينة "قابس" بانها مدينة جليلة ذات اسواق وفنادق وحمامات يحصنها خندق يجرون إليه الماء عند الحاجة وسور ضخم من الحجارة أما سكانها فهم من العرب والأفارقة وينتشر بها زراعة اشجار التوت وصناعة الحرير وتسقى مزارعها من عين حرارة تنبع من جبل جنوب غرب المدينة وتصب فى البحر .

(١) ذكر اليعقوبى (ع٣هـ = ع٩م) أن سكان مدينة القيروان اخلاط من الناس من قريش وسائر بطون العرب من ضرورة بيعة وقحطان ، كما أن بها اجناس من العجم من الفرس والبربر والروم . أما ابن حوقل (ع٤هـ) فذكر انها كانت اعظم واغنى مدينة بالمغرب . مما يبين أن اهميتها نقلت عن ذى قبل ويلاحظ ن هذه المدينة بناها عقبة بن نافع سنة ٦٨١ م ثم خربت فى موجة بنى هلال وسليم فى القرن الحادى عشر الميلادى .

ونلاحظ أن ابن سعيد قد نجح إلى حد ما فى وصف سطح هذه المنطقة ، فهى مرتفعة فى الغرب يصل ارتفاعها إلى حوالى ٢٠٠٠ : ٣٠٠٠ قدم ، أما المنطقة الشرقية التى تقع بها المدينة فيتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠ : ٥٠٠ قدم أى أنها منطقة منخفضة بالنسبة للغرب .

أما عن موقع المدينة فقد وضعها إلى الشرق من موقعها الفعلى بحوالى ٧ ° طولية وإلى الجنوب بحوالى خمس درجات عرضية ، وهنا نلاحظ أنه أخطأ فى خط الطول كما حدث بالنسبة للمدن الساحلية بتونس وإن كان خطأه بالنسبة لخط العرض قد زاد هنا من ٣ : ٥ درجات أى بفارق درجتين عن المدن الساحلية السابقة الذكر .

وصف لنا ابن سعيد الجزر المجاورة للساحل التونسى ومن أهمها **جزيرة « جربه »** التى ذكر أنها مشهورة بالزيت والرطب والزبيب والتفاح والمنسوجات الجيدة ، وأنها تقع شرق مدينة تونس يفصل بينها وبين البر مجاز ضيق يعبر بالزوارق . أما سكان الجزيرة فهم من الخوارج .

وإلى الشمال من جربه توجد جزيرة صغيرة ذكرها ابن سعيد باسم لبدوشيه وهى جزيرة لمبدوسه Lampedusa وهى جزيرة صغيرة ذكر أنها خالية من السكان تستخدم كمحطة لتزويد المراكب بالماء لوقوعها على الطريق بين شمال أفريقيا وجنوب أوروبا ، غير أن الدور الذى كانت تقوم به هذه الجزيرة يوحى بأنه كان بها بعض السكان الذين يعملون فى خدمة المراكب ولم تكن خاليه من السكان تماماً كما ذكر ابن سعيد .

أما عن اتجاه الساحل فى هذه المنطة فقد ذكر ابن سعيد أنه إلى الجنوب الشرقى من جربه يتقهقر البحر إلى الشمال حتى تكون **مدينة طرابلس** . وهذا خطأ وقع فيه ابن سعيد فالساحل جنوب جربه يكون اتجاهه نحو الجنوب الشرقى ثم الشرق حتى نصل إلى مدينة طرابلس فالبحر هنا لا يتقهقر نحو الشمال وإنما يتجه جنوباً ليكون خليج سدرا Sidra الضخم ولكننا إذا نظرنا إلى الموقع الذى حدده ابن سعيد لمدينة طرابلس نجد أنه وضعها إلى الشرق من موقعها الحقيقى بحوالى عشر درجات طولية — وهنا نلاحظ أن الخطأ زاد

بالنسبة لخط الطول – وإلى الجنوب بحوالى ٣٠ فقط وهكذا نجح ابن سعيد فى تحديد خط عرض مدينة طرابلس وهذا يعطينا احتمال وجود خطأ فى الكتابة بالنسبة لاتجاه الساحل ذلك أن صحة خط العرض توضح أن ابن سعيد كان يعلم أن الساحل يتجه نحو الجنوب .

أما فيما يختص بالإقليم الذى يقع به مدينة طرابلس فقد ذكر ابن سعيد أنه إلى الشرق من المدينة على بعد مرحلتين يقع جبل نفوسه المتصل بجبل دمر وما يتصل به من الجبال إلى جبل درن الذى يدخل فى البحر المحيط والمقصود به سلسلة جبل أطلس الكبرى ونلاحظ هنا أن ابن سعيد قد أخطأ فى معلومتين

الأولى : – موقع جبل نفوسه فهو لا يقع شرق طرابلس بل جنوب المدينة وهو عبارة عن حافة الهضبة الإفريقية ويتراوح ارتفاعه بين ٢٠٠٠ : ٣٠٠٠ قدم .

أما الخطأ الثانى : فيتمثل فى اعتقاده بوجود سلسلة جبلية متصلة تتكون من جبل نفوسه وجبال تونس وسلاسل جبال أطلس ، ويلاحظ أن نظرية السلاسل الجبلية هذه كانت شائعة فى الفكر الجغرافى منذ العصور القديمة .

وأضاف ابن سعيد أن جبل نفوسه هذا عامر بالسكان والمدن وذلك لخصوبته ووفرة مياهه وأنه يمد مدينة طرابلس بالخضر والفاكهة والزيتون والزيت والزبيب والتمر .

أما الدمشقى فقد وصف مدينة طرابلس بأنها مدينة عظيمة تضاهى الإسكندرية فى بنائها .

---

(١) ذكر اليعقوبى (ق٣هـ = ع٩م) أن ديار نفوسه متصله من جنوب طرابلس إلى شرق القيروان وهم قبائل كثيرة وبطون شتى .

(٢) ذكر البكرى (ع٥هـ) أن أسم طرابلس الأغريقية معناه ثلاث مدن وحينما فتحها عمر بن العاص سنة ٢٣هـ كان البحر يحف بالمدينة التى لم يكن لها سور تجاه البحر فى ذلك الوقت انما بنى السور بعد ذلك . وقد وصفها بانها مدينة كثيرة التجارة والخيرات ولها اسواق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين جميلة . أما أبن حوقل فذكر أنها تشتهر بانتاج الأقمشة الصوفية وأن الحركة التجارية بها منتعشة فتتردد عليها السفن من بلاد الروم والمغرب وبينما يذكر البكرى أن مرسى طرابلس مامون من أكثر الرياح يذكر أبن حوقل ن الرسوبة صعب ، لذلك فان اهل البلد يسارعون بقواربهم ومراسيهم وحيالهم للمعاونه فى ارساء السفن القادمة إلى الميناء .

وقد اختلف كل من الدمشقى وابن سعيد فى حدود سلطنة أفريقيا ، فبينما ذكر الدمشقى أن برقه هى آخر حدود أفريقيا من جهة الشرق نجد ابن سعيد قد اعتبر قصر أحد الواقع إلى الغرب من مسراته Misrata وشرق طرابلس هو آخر حدود أفريقيا شرقاً .

وهنا أشار ابن سعيد إلى ظاهرة هامة لاحظها على الساحل الشمالى لأفريقيا فى ذلك الوقت وهى أنه إلى الشرق من مدينة طرابلس لا توجد مدينة فيها حمام أو خبارز إلى أن تصل إلى الإسكندرية معنى هذا أنه لم يكن هناك على طول الساحل مدن عامرة بين طرابلس والإسكندرية وإنما كانت عبارة عن موانى أو تجمعات سكنية بسيطة .

وفى ختام هذا البحث لاحظنا أن كلا من ابن سعيد والدمشقى قد أورد معلومات جغرافية عن بلاد المغرب (تونس — الجزائر — مراكش (بعضها خاص بالظاهرات الطبيعية وأكثرها خاص بالمدن المتناثرة على طول الساحل والتى رأينا أنها كانت أكثر عدداً وأهمية من مدن الداخل .

وإذا كانت معلومات ابن سعيد عن هذه المنطقة أكثر أهمية وتنوعاً ودقة من معلومات الدمشقى التى تعد بسيطة وإن كان بعضها هاماً ، فإن ذلك يرجع كما سبق أن ذكرنا فى مقدمة البحث إلى ارتياد ابن سعيد لهذه المنطقة مسقط رأس أجداده ، مما أكسبه خبره شخصية كبيرة عنها أكثر من الدمشقى الذى كانت خبرته أكثر عن موطنه بلاد الشام .

---

(١) ذكر الجغرافيون العرب مثل أبن حوقل واليعقوبى والبكرى ، شرق طرابلس عدة مدن هى اجد ابيه وسرت وبرقة ، ولكن يبدو أن هذه المدن اضمحلت فى القرن السابع الهجرى كما وضح من أقوال أبن سعيد والد مشقى الذى ذكر أن مدينة سرت ضرب كثرها . أما أبو الفدا (ع٨هـ = ع١٤م) فقد أيد ماذكره أبن سعيد والدمشقى حين وصف اقليم برقة بانه ليس فيه فى عصره مدينة ذات شأن .

مصادر البحث

١ – ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى) :
كتاب الجغرافيا . تحقيق اسماعيل العربى . طبعة بيروت سنة ١٩٧٠م

٢ – الدمشقى (شمس الدين الصوفى) « شيخ الربوه »
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر . طبعة بغداد المأخوذه عن طبعة ليبزج سنة ١٩٢٣ م .

٣ – الادريسى (أبو عبد الله محمد) : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق مخطوطه مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٧ جغرافيا .

٤ – أبو الفدا (المؤيد عماد الدين) تقويم البلدان . طبعة باريس سنة ١٨٦٠ م .

٥ – ابن حوقل (أبو القاسم) : صورة الأرض . الطبعة الثانية . القسم الأول . ليدن سنة ١٩٨٣ م .

٦ – البكرى : (أبو عبيد الله ابن عبد العزيز) : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب . وهو جزء من كتاب المسالك والمالك . طبعة الجزائر سنة ١٨١١ م

٧ – القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس) : صبح الاعشى فى صناعة الانشا طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ .

٨ – المقدسى : (شمس الدين محمد بن أحمد البشارى) : (قهـقم) احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم . الطبعة الثانية ليدن سنة ١٩٦٧ م

– اليعقوبى : (أحمد بن ابى يعقوب بن واضح) .
البلدان : طبعة ليدن سنة ١٨٩٢ م .